البنية الفكرية والاجتماعية للمثقف فى السودان الحديث

اليسع حسن أحمد
جامعة طرابلس – كلية الفنون والإعلام – E –mail.elyasaahalib@gmail.com

المستخلص :

اهتمت الدراسة بمآلات الدراما في السودان–بحسبانها فناً مدنياً خالصاً من جهة ومن جهة أخرى فناً وافداً استفاد من الموروث المحلي. وتم تقسيم الدراسة على عدة محاور. تناول المحور الأول الدراما نشأتها وتطورها منذ بدء الخليقة، بافتراض أن الدراما تعبيراً طبيعياً وموضوعياً للإنسان في صراعه مع نفسه ومع الآخرين من حوله، إذا هي تلازم الإنسان في حراكه الكوني، فتعددت مدارسها بتطور الإنسان وأعماره للكون. فنسبت الدراما بملامحها المتعارف عليها للفيلسوف الإغريقي الأشهر أرسطو طاليس، فصارت تعرف باسمه "الدراما الأرسطية" والذي وضع أول اللبنات للسيطرة على الدراما وعلى متلقيها واستهدافها من المباشر لوعي وثقافة المتلقي. لتكتسب خطورتها وأهميتها على مر التاريخ فاصبحت تهتم بها الدول والمؤسسات لخلق الصورة الذهنيةالمثلى والمهيمنة حضارياً وفكرياً، لتمثل الدراما عنواناً دائماً ومتجدداً وقارئاً حصيفاً لتطور العصر ومآلا ته ومرآه صادقة للتعبير عن عصرها.أما المحور الثاني فتناول الدراما في السودان والذي لم يعرف الدراما بمفاهيمها الأرسطية المتعارف عليها وأن عرف نشاطاً حياتياً يحمل ملامح الدراما. فالعناصر الأثنية المكونة للنسيج الاجتماعي السوداني لم تعرف الدراما في بيئاتها الأصلية ،فالعرب مثلاً لم يعرفوا المسرح، وإن حملوا لغة مشهديه ثرة والأفارقة أيضاً وإن مارسوا فعلاً جسدياً معبراً عن آلامهم وآمالهم.فالتاريخ يثبت أن الدراما وصلت السودان عن طريق الجارة الأقرب جغرافياً ووجدانياً مصر والتي أرتبط اسمها سياسياً بالاستعمار أيضاً وفكرياً وثقافياً بالمثقفين والمفكرين الذين تأثروا بعلمائها وأدبائها، والدراما والتي ارتبط اسمها بالمسرح أقدم الفنون الأدائية سخرت في السودان لتحمل هم قضايا أخرى كالتعليم وإذكاء الروح الوطنية وهذا ما جلب لها دعماً وعضداً حتى من المؤسسة الدينية والرسمية ولكن سرعان ما أهملت بعد تحقيق تلك الأغراض التي من أجلها سخرت.أما المحور الثالث فتناول قضايا الدراما والمجتمع لأنه لا يمكن عزل الدراما عن محيطها الاجتماعي.فالسودان بحسبانه دولة نامية ويقع في منظومة العالم الثالث، كان لابد أن يسخر الفن لخدمة قضايا المجتمع الآنية وتلك معضلة لها تعقيداتها ومشاكلها في مجمل الفنون وخاصة الدراما اذ ظلت تابعاً ومنفذاً لخطابات أخرى والمثقف المنتج للدراما أصبح يحمل الكثير من تلك التعقيدات نفسها والتي أقعدت بالعمل الدراما وأثرت فيه كثيراً. والمحور الأخير تناول حوار الأنا والآخر في الدراما والحوار والجدل الذي أثر على مجمل الحياة الثقافية والفكرية والتنازع والفصام بين الواقع والتنظير ومن ثم فشل النخب في تحقيق أحلامها ومشاريعها ومن ثم تخصصها. إذا ما تزال الدراما أسيرة التحولات السياسية في السودان مما خلق جواً من الاضطراب النفسي والفكري في تحقيق ما هية الدراما وضرورتها واستمرار دعمها والاهتمام بها.

ABSTRACT :
Th3e study concern with the undertake of the drama in Sudan, for it is a civilian arts, in one side and in the other side is an imported Art that inspired by the local heritage.The study was divided into several cores:The first core concern with the drama its beginning and development from early time. As it is an expression for the human straggle between man and himself and with others. So, it is the twin of the human in his cosmopolitan existence. Drama divert according to human development, as drama descends to Aristotle the Greek Philosopher, so it linage to his name.Aristotlian Drama. Who establish it rules, and its affect son human being. According to that states begin to take care of drama to form the people conception, the matter that make the Drama formulate

المقدمة :

من الضروري الحديث عن الثقافة وتجلياتها وتمظهراتها المختلفة وبعض وظائفها س وعلاقاتها مع المجتمع الذي تنتج فيه، لكي يكون رابطاً موضوعياً ومنطقياً في فرضيات هذه الدراسة واسئلتها ، و مدي التأثير الفكري والاجتماعي في بنية وتفكير ومنتوج المثقف السوداني الحديث ونعني به هنا ،الدراميون بتخصيص أكثر ، والحقل هنا هو المجتمع السوداني ، وبالتالي لا يمكن بحال من الأحوال عزل الدراما والثقافة عموما عن محيطها الاجتماعي وكذلك عن وظيفتها الانسانية ، فالدولة التي ما زالت تتشكل ولم تضح ملامحها المدنية وهويتها وقواسمها المشتركة بعد، نجد أن إنتاجها الدرامي عموماً ينحو نحو الوظيفة،كشأن، جل المجتمعات النامية وذات الحوجة الماسة للبني التحتية وغلبة الآني والمادي اليومي علي الكوني والوجداني ليصبح بناء المكان والمتتطلبات اليومية الملحة علي حساب الانسان ومآلاته وتحدياته. في دولة مثل السودان والتي تصنف ضمن منظومة العالم الثالث وهو مسمي للدول الأقل نمواً في العالم، تنتج فيه الثقافة (الدراما بمفاهيمها القاصرة) عادة لأداء وظيفة أو وظائف محددة، فأذا استعنا بالمسرح مثلا كمظهر ثقافي مهم نجده وفي بداياته تم رفده بأبكار الخريجين ورموز المؤسسة الرسمية الدينية والسياسية ورجالات الحركة الوطنية لأداء وظائف مثل التعليم وإذكاء روح التحرر الوطنية، وعندما تحقق ذلك أداروا له ظهورهم. ولعل أكبر إشكالات الثقافة "الوظيفية " هو هجرانها من داعميها حال تحقق الوظيفة. وكذلك التغقيدات الفلسفية والقيمية في الخلط الشنيع ما بين مهام الجمالي ومهام المادي اليومي المحسوس،والتفريق ما بين بناء الوجدان وبناء المكان،وعدم وجود الإتساق ما بين النمو والمعرفي الفكري الثقافي والنمو الوجداني، ليورث نتائج قد تكون مدمرة في المستقبل.. رغم أهمية وخطورة الشأن الدرامي . ومن نافلة القول أن العصر الاتصالي أو الرقمي الماثل الآن والذي أعطي راية الهيمنة للغرب ما هو إلا نتاج عصر النهضة الأوروبي وهو عصر عقلاني محض. وكذلك عصر الرخاء و"سحائب" هارون الرشيد. وهو نتاج طبيعي للعصر الإسلامي الأول الزاهر عدلاً وعلماً. لكن الحديث عن الوظيفة والوظيفية لانعني بها تخلي الفن – الدراما والثقافة عموما – عن رسالته في الوجود ولكن ننأي به عن تحميله مهام عجولة وآنية " انتهازية " غالبا علما بأن هناك اتجاهات نقدية متعارف عليها تمهد لوظيفة الفن في الحياة فمثلاً الناقد " أبرام Abrams) انظر ارثرابرا برجر (2003

ص 56-60.) في كتابة المرآة والمصباح :النظرية الرومانتيكية والتراث The mirroar and the lamp:romantic theory and pragmatic thearias of art. تفرض هذه النظريات أن الفن له وظيفة يقوم بها من قبيل، تعرفنا بالحياة وغرس القيم الفاضلة والأخلاقية وإقناع المتلقي بأداء أفعال معينة ويفسر Abrams ذلك بان الاتجاه البراجماتي ينظم هدف المثقف ويحدد شخصيته. ويرى كذلك ارتباط هذه النظريات بالمجتمع والثقافة والفن إن كان محاكاة ، فالمحاكاة ترتبط اساساً بالكون (المجتمع حراك الناس والأشياء) علما بأن الثقافة وتجلياتها المثلي فى الفن عموماً والدراما على وجه التخصيص ترتبط بالنص (جدل الذات والموضوع) والقراءة ترتبط اساساً بالمتلقي ومقدار الفائدة التي يجنيها من النص الإبداعي ، ومقدار تأثير هذا العمل ومقدرته على الفعل والتفاعل وبالتالي تظل (الميديا) هي التي تجمع كل تلك الوظائف وتتكامل عندها الأدوار ويتجدد دورها بمقدار قدرتها على النفاذ والتأثير. وكذلك يذهب إيزار Isar وهو من المنادين والمبشرين بنظرية التلقي Reception theory إلى نظام فض النصوص Decoders of texts وهو نظام يذهب إلى خلق حوار بين النص والنظام الاجتماعي : فالعمل الفني (يحتوي على قطبين أساسيين هما الفني ArtisTic والاستطيقي Aesthetic فالفني النص المبدع من المؤلف أو المنتج والاستطيقي يعنى به التحقق الجمالي الذي ينجزه القارئ فالنص لا تدب فيه الحياة إلا عندما يكون موضوعاً للإدراك) (ارثر 2003م ص61). وأصحاب نظريات التلقي يرون في النص خلق وولادة تحمل طابع الفاعلية والمجتمع " موقع القراءة "يعطيها طابع الاستمرار والتحول ومن ثم يظل هناك حوار وجدل وتشكل مستمر ما بين النص "كمنتج" وما بين المجتمع كقارئ وموقع، يقدم للنص معطيات وجوده وتطوره والنص كذلك يسهم في الجمالي ، الأخلاقي بالتغيير والاستمرار، وبالتالي يفترض أن يكمل كلاًهما الآخر (دائماً هناك فضاء ناقص ومؤقت لكل طرف، فإن قيام فضاء آخر مشترك تمارس فيه هذه العلاقة حركتها أو فيه يمارس الفضاءان العلاقة بينهما، ويبرز هنا السؤال، أين ينهض هذا الفضاء المشترك؟ وكيف؟ يمكن للاجتماعي أن يمارس حركته تجاه النص، وهل يمكن للكتابة أن تنهض وتكسب صفة الديموية خارج فضاء الاجتماعي لا نظن ذلك).(يمني العيد ص36-37). والمسألة تبدو أكثر تعقيداً ما بين الكتابة والمجتمع – المنتج والمتلقي فالنص يبدو ثابتاً وساكناً وقد تشكل وفق معطيات أصبحت جزءاً من الماضي، والمجتمع يبدو متحولاً ومتعدد القراءات للنص وبالتالي يكون الأمر هو أمر جدل وحوار مستمر ومتجدد. (فليس الاجتماعي خارجاً تقرأه في داخل، بل هو هذا الداخل الذي "صاره" وقد أختلف وتميز في بنية شكله، ليس من داخل وخارج، ليس من طرف وأخر يتقابلان، الكتابة في طرف والاجتماعي المتحول من طرف آخر، بل الأمر برمتة نص يعيش زمن الكتابة يعيش نشاطها. يعيشه ويتميز كبنية. شكل. يعيشه ويميزه يختلف... وليس عيشة هذا سوي حركة وجوده التاريخي).(مهدي عامل 1973م ص245).وبهذه المفاهيم نري أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال عزل النص– الدراما هنا– عن محيطها الاجتماعي، فمثلاً لا يمكن قراءة المجتمع بمعزل عن ثقافته– درامته– التي أنتجها. وبالتالي تجئ القراءة للثقافة– في السودان. تنطلق من هذه المفاهيم وفي العلاقات المعقدة والشائكة

بين من يكتب ولمن يكتب وكيف يكتب.وبالتالي التأثير العميق للمحيط الاجتماعي والفكري في بنية ووعي وتفكير المبدع – المثقف – الدرامي السوداني .

السودان الحديث

السودان هو القطر المنتمي اقليمياً و جغرافياً الي مجموعة الدول العربية ويمثل أقصي امتداد لها جنوب الصحراء الكبرى. ويتألف السودان تاريخياً من أربع مجموعات متميزة ويمكن إجمالها في (المجموعة البجاوية والمجموعة النوبية والمجموعة العربية والمجموعة الزنجية، وهم يمثلون نموذج من نماذج الكيان المركب، على اعتبار حرص كل مجموعة على ذاتها والقبول بروابط تجمعهم وتلم شملهم في إطار موسع، يكفل معني الوحدة أو التماس والتوحد).(صلاح الدين علي الشامي ط2 2000م).ويمثل الإسلام الديانة الأولي والسائدة مع وجود أقلية مسيحية ووثنية. وتبعاً لذلك صارت اللغة العربية هي اللغة الأولي وحتى القبائل التي تركن الي لهجاتها الخاصة ان لم نقل لغتها تتواصل فيما بينها باللغة العربية الهجين .ويؤرخ لتلك السيادة التاريخية باتفاقية البقط الشهيرة (م625) حيث فتحت هذه الاتفاقية الباب لتنظيم علاقات سياسة واقتصادية على مدي ستة قرون حتى سقوط دولة علوة المسيحية على يد عبد الله جمّاع وقيام مملكة الفونج وهي نقطة مؤثرة في التاريخ السوداني إذ (ولد نوع من الاستقرار والثقافة والوحدة السياسية مهّد إلي نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل) (يوسف فضل حسن ط4 1992م).والسودان تشكل بحدوده المتعارف عليها في العام 1916م (حتى 2009م تاريخ إنفصال الجنوب تحت مسمى دولة جنوب السودان حسبما أفضت اليه إتفاقية نيفاشا الشهيرة الموقعة بالعاصمة الكينية نيروبى فى العام 2005م)وذلك بعد ضم دارفور غرب السودان عقب مقتل سلطانها على دينار علي يد الجيش الانجليزي الغازي. ويؤرخ للسودان الحديث تلك الدولة التي قامت بعد ما عرف في التاريخ السياسي بالغزو التركي المصري (1921)، ولخضاعه لعدة دويلات وممالك لسلطة مركزية واحدة عاصمتها الخرطوم. وظل بالتالي السودان الحديث يتشكل على أثر الأفريقانية والعربية.

المرتكزات الاجتماعية

يتعرض المثقف قي المجتمع الي عدة مؤثرات، تحدد مسارات حركة التغيير فلا يوجد مجتمع في حالة ثبات، فالجنس البشري عند استعماره لمكان جغرافي محدد "دولة" يحمل شروط بقائه وتطوره والتحول هو علاقة الزمن بالمكان الجغرافي المعين. والزمن يحدد وتيرة الفعل أو ا لحركة في اتجاه قضية مقصودة أياً كان نوعها ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، إعلامية، لذلك ربطابن خلدون كل منطقة بحركة الأفراد تجاه الحرف والصناعات كأن تكون "بطيئة" كالمناطق الحارة أو "سريعة" كالمناطق الباردة، وأعتبر ابن خلدون أن الحرارة تبطئ التطور والبرودة تسرع التغيير الاجتماعي وكل يولد نمطاً من الحياة ونوعاً من الحرف والصناعات والسلوكيات وارتبطت هذه "الحتمية" الجغرافية بالزمن (إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلي حال، وكما يكون ذلك

في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول) (عبد الرحمن عزي 1995م).

فالتحولات التي تطرأ على مجتمع ما قد تكون بتأثيرات داخلية مثل حركة المجتمع الذاتية وتراكم خبراته ووعيه وتمدده على مستوي المكان وعلى مستوي الأسر وتعاقب الأجيال. وأيضاً هناك تأثيرات خارجية مثل وسائل الاتصال وتبادل الأفكار والثقافات والتداخل والتبادل وحركة التدافع ما بين الدول والجماعات والأفراد. لذلك اعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي أهمية الزمن واستغلاله ضروري في أي عملية تغيير أو تحول اجتماعي. فالزمن آيل إلي صيرورة. ("والشمس تجري لمستقر لها" (يس الآية 38) ومادام المكان ثابت فإن الزمن يمثل أهم عناصر الحضارة (الإنسان. الأرض. والزمن. فثقافة أي أمة أو مجموعة سلوكاً وتفكيراً وانتاجاً وعلاقات تبني على هذا الجدل المستمر بين الإنسان والأرض. والزمن الأرض– المكان فهو ثابت والزمن هو الذي يحدد حركة الإنسان وقدرته على التغيير فالإنسان مفكر متجدد واع)*. فكثير من آيات القرآن الكريم حفلت بتدافع الناس بعضهم بعضاً وحركة الكواكب /الصلاة كتابا موقوتاً /الصيام والحج وكذا. أن ثقافة أي مجتمع هي التي تحدد في المقام الأول في مدي قدرته على التغيير والتحول والتفاعل. كذلك أن الثقافة يجب الإشارة هنا لمفهومها ودلالاتها وقدرتها على قيادة التحولات الاجتماعية وإن كان للتغيير السياسي والاقتصادي.. الخ كما سبق القول المساهمة الفاعلة في تشكل التحول، لكن مظاهرة– أي التحول– تتجلي في الثقافة فالثقافة– المفهوم. يعتبر من المفاهيم الحديثة في الاستخدام العربي لها. فهي كلمة مولدة مشتقة من المعني المجاز لكلمة Culture وهي بدورها تعني في الأصل الفلاحة، فمن فلاحة الأرض، إلي تنمية بعض القدرات العقلية بالتدريب والمران ثم لتدل على مجموعة المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والقدرة على الحكم.

(لقد نقلت الثقافة من زراعة الأرض واستقلال خيراتها إلي تدريب الفكر وجنى ثمراته من "نتاج الأرض" إلي "نتاج الفكر" وسرعان ما وقع التأكيد على أن مدلولها في ميدان الفكر. يجب أن ينصرف إلي فعل الإنتاج أكثر من الإلحاح على الإنتاج نفسه، بمعني أن المقصود منها يجب أن يكون ما يكسبه الفعل من قدرات على التفكير السليم والمحاكمة الصحيحة– بفضل المعارف التي يتلقاها والتجارب التي يخوضها، لا ما يضمه الفكر بين طياته من متنوع المعارف وكثير المعلومات) (مالك بن نبي 1979م ص 43–46). بينما الجابري يذهب للمدلول المتغير لا الثابت للثقافة لنشاطها الاجتماعي لا لتفسيرها، وبالتالي الثقافة هنا، لما ينتجه المجتمع في حراكه وكسبه والمجتمع ينتج عندما يتحول، بتغير، يتحرك.وبالطبع تمثل الدراما أكثر تجليات الثقافة حضورا وتأثيرا.

المرتكزات الاجتماعية في السودان الحديث حتى 1940. فترة الأربعينيات شهدت اكتمال ونضوج الحراك الاجتماعي، الثقافي، خاصة حركات التحرر الوطني، وعالمياً شهدت الفترة التهيؤ للتحول الكبير والخطير على كافة المستويات وظهور عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. فالسودان مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين شهد نهاية الدولة الوطنية المهدية ودخول البلاد في عهد الاستعمار الإنجليزي

المصري والتي تعتبر – أي المهدية (استمراراً للتقاليد السودانية بشأن إقامة الممالك الوطنية والتي قامت منذ عهد مروي) (محمد عمر بشير ط2 1987م ص22.ويمثل العهد الاستعماري تحولاً كبيراً وشاملاً في مختلف مناحي الحياة خاصة وإن بداياته شهدت أولي ظهور قادة سودانيين جدد. بدلاً من رموز الدولة المهدية والتي شهدت في نهاياتها–عهد الخليفة عبد الله تورشين ، صراعاً مريراً بين أولاد الغرب وأولاد البحر، تركت جراحا غائرة تؤججها النخب كاما خبت لترتبط للاسف بالمصالح الذاتية الضيقة والمكاسب الشخصية ليهلك علي اثرها النسل والحرث والضرع وكذلك شهدت ذات الفترة مجاعة "سنة ستة" 1406هـ وتدهور اقتصادي. كل ذلك وغيره أدي علي ظهور حلفاء جدد مثل المراغنة(إذ قام مائة جندي على ظهور جمالهم بقيادة المبماشي مكريل وولكنسون بمرافقة السيد على الميرغني من سواكن عن طريق خور بركة إلي الخرطوم) (محمد عمر بشير ص68). ومرافقة السيد علي الميرغني وهو زعيم طائفة الختمية المعروف في السودان. تعني ظهور تيار ديني آخر مقابل طائفة الأنصار. وهو ما عرف في السودان السياسي والحزبي. بطائفتي الأنصار والختمية والتفت الإنجليز أول عهدهم للتغيير الثقافي والفكري ومحو آثار الثقافة المهدية ومحاولة خلق مجتمع مدني عصري. وعشية معركة كرري والتي أذنت بإنهاء الدولة المهدية خطط كتشنر لإنشاء كلية تحمل اسم غردون باشا والذي عرف في الأوساط الإعلامية الغربية "بقتيل الدراويش" وقد طلب من رجال البر والأعمال بإنجلترا وجميع أجزاء الإمبراطورية التبرع لهذا الغرض.

ورد القصر الحاكم في بريطانيا على اللورد كتشنر مثمناً الفكرة في نوفمبر 1898.(طلب مني أن أعبر لكم عن وجهة نظر حكومة جلالة الملكة فيما يتعلق بالكلية التي ترغبون في تشييدها بالخرطوم وأي شي يمكن أن يقال من جانب أي مواطن في هذه البلاد، لا يمكن أن يضيف شيئاً يذكر بالنسبة للملاحظات القيمة التي أبديتها، فيما يتعلق بظروف السودان، ولكن فيما يتعلق بقيمة الرأي الذي تذهبون إليه فإن حكومة جلاله الملكة مقتنعة تماماً بالمشروع الذي أوصيت به والسياسة التي يشكل المشروع فيها جزءاً هاماً.وإن التقارب بين الأجناس التي تقطن وأدي النيل والحكومة التي يجب أن تقوم مبادؤها ووسائلها بالضرورة النهج الغربي يعتبر إجراء في غاية الصعوبة ذلك أن يقوم على حساب موارد أبناء الجيل الحاضر من رجال بريطانيا وأولئك الذين يولدون في المستقبل. ىوالطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحقق بها إعادة البناء هي أن نعطي الأجناس التي استعمرتها بريطانيا سبيلاً للاتصال بآداب أروبا. لذلك فإن مشروعك لإقامة أداة يمكن بها تلقين المعارف الأوروبية لأهالي وادي النيل، لا يعتبر في حد ذاته أمر يدعو للإعجاب فحسب، بل إنها تمثل السياسة الوحيدة التي يمكن عن طريقها، نشر الحضارة في هذا القطر . (محمد عمر بشير ص 53 –54). وكلية غردون وهي النواة لأشهر جامعة في السودان وهي جامعة الخرطوم، وهي المؤسسة التي شكلت طبقة الموظفين والمثقفين بحسبان أن خريجيها من السودانيين مثلوا أبكار الموظفين في الخدمة، ما عرف بعدها في الخدمة المدنية في السودان بطبقة الأفندية، والتي بدورها شكلت طبقة الشعراء والأدباء والكتاب والمبدعين لحد كبير. وموافقة حكومة مملكة بريطانيا على إنشاء كلية غردون. نري إنها تمثل وثيقة بالغة الأهمية في التاريخ الوطني والاجتماعي والسياسي في السودان، وتمثل كذلك وجهه نظر الحكومة البريطانية والتي تمثل رأي–

أبناء الجيل الحاضر. وأولئك الذين يولدون.ذلك الرأي الذي يري أن الطريق الوحيد الذي يعيد صياغة الإنسان السوداني والخروج به من تخلف– الدراويش– إلي الاتصال بآداب أروربا وهو الذي ينشر الحضارة على حسب رأي فكرة إنشاء الكلية. وهذا النزاع بين الاتصال بين آداب أروبا– وبين كراهية الدخيل. شكل لحد ما فكر الحركة الوطنية السودانية وصراعاتها ومآلاتها وخططها ورؤاها للدولة في السودان. وقد يكون شكل كذلك لفصام البين في السلوك والثقافة والتضاد النفسي العنيف بين ما نعتقد على الأقل ظاهرياً. وبينما نمارس في حياتنا الخاصة، اذ ظللنا في حيتنا المعاصرة وخطابنا السياسي والرسمي نهتف سنين عددا ضد الدخيل والمستعمر وعلي المستوي الشخصي نسعي حثيثا للتعلم بالغرب والسير نحو خططه ورؤاه للتنمية والعمران ومجمل تجليات الحياة المعاصرة ليتسع الشرخ النفسي ويؤثر لحد كبير في مناهجنا في التفكير والحكم والسياسة وحتي الابداع . وتمظهر ذلك ايضا في بروز التنافس الحاد بين السيد عبد الرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار والسيد علي الميرغني زعيم طائفة الختمية ومن ثم الاتحاديين وحزب الأمة وسباقهم المحموم على كسب المثقفين والمتعلمين،هذا الصراع وطرق التفكير والتلقي والتعلم عند المثقف السوداني جعلت تحليل كثير من الإنجليز تحمل آراءاً سالبة وقاسية للجيل المتعلم من أهل السودان، فنجد مثلا أن ان السير هارلد ماكمايكلقدم وصفا سيئا للمثقف السوداني متهماً أياه بالقصور في الفهم والمبالغة في الوهم وغرور يدفع بصاحبه إلي أسوا النتائج. ويمضى ماكمايكل في القول (بالرغم أن تعلم اللغة الإنجليزية فتح أمام المتعلمين أفاق واسعة ومنوعة من الآداب، الا أن تلك الآراء والأفكار لم تهضم وقد انعدمت ملكة النقد، التي تشذب الأفكار وتحفظ التوازن وذلك بفقدان الدراسة التاريخية والأسس الثقافية التي تساعد على تقديم النزوع للتعميم وسوء الظن في نيات الآخرين،هذا الجيل يشعر بقلق فكري، يستمد الوحي من النهضات المعاصرة. وهي نزعة فكرية في أسوا حالاتها نوع من الحسد وفي أحسن أوضاعها شعور بالطموح البالغ من الخيال، والشباب يتصور نفسه في حلم آخاذ، عضواً وزعيماً مرتقباً لمجتمع مستنير، وما هو في الواقع غير موظف صغير بمرتب بسيط ولد في وسط اجتماعي بدائي يحتقره ومقيد في حياته المنزلية بأغلال عادات عقيمة وشاعر في غرارة نفسه أن ثقافته قشور وأحلام صحوة أوهام. وليخفف على نفسه شعوره بالتبعية يلجأ إلي اختراع خرافة عن ماضي وطني مجيد، ويري في نفسه بطل بعث أكثر عظمة. ولكنه لا يستطيع أن يفصل مصلحة البلاد عن منافعة الشخصية المباشرة) (محمد أحمد المحجوب 2005 ص 58). ان جهة نظر ماكمايكل هذه وأن كانت تمثل وجهه نظر المستعمر لأهل البلد. لأبد من انتشالهم من وهدة التخلف إلي اللحاق بآداب أوروبا كما ورد في الحديث عن إنشاء كلية غردون. لكن وجهه النظر هذه تمثل أيضا إضاءات مهمة في توجيهات وتحولات النخبة المثقفة "الانتلجنسيا" ومدي مقدرتهم على إدارة الشأن السوداني. سياسياً، واجتماعياً، وثقافياً. ولعل الفشل. الذي لأزم التجارب السودانية قد يكون سببه هو جزء من رأي ماكمايكل في المثقف الذي يجيد. وضع الخطط والبرامج ويجيد كذلك المقدرة على إفشالها وسوء تنفيذها.ولعل الانكسارات التي لازمت مسيرة الدراما السودانية وارتباطها بمجهود الافراد لا المؤسسات وبالحوجة الانية لا الاستراتيجية والوطنية مرده الي بنية المثقف ومرتكزاته . من المحطات المهمة في مسيرة التحولات السياسية والاجتماعية في السودان ثورة

1924 وما أعقبها من نتائج، فذات الطبقة المتعلمة والتي من أجلها أنشأ التعليم الرسمي في السودان هي التي قادت ثورة 1924. عد نجاحها أعلن عن ميلاد علاقة جديدة بين المثقف وبين المستعمر، وولدت كذلك خيبة أمل كبيرة في أوساط المثقفين المتعلمين، سياسياً، لكنها أسدت فائدة كبيرة لحركة الأدب والثقافة والتعليم وبداية التفكير الجاد في وسائط أكثر فاعلية لرفع الوعي لدي المواطن السوداني وأهمها التعليم والذي لابد له من دعم وذلك بعدة سبل من بينها اللجوء للثقافة متمثلة في المسرح حينها. وقد أثرت الأزمة الاقتصادية العالمية (1929)في حركة التعليم والتوظيف الرسميين .ولكنها أيضا فتحت المجال أمام محاولات التعليم الأهلي. ويمثل تولي ستيوارت 1934 حاكماً عاماً للسودان مرحلة أخرى من مراحل التحول وتطور العلاقة ما بين المثقفين والسلطة الحاكمة فاستيوارت يري ضرورة (تأسيس إدارة عاملة وفي الاعتبار الأول متقدمة، ليس بالتعاون مع السلطات القبلية بل التعاون مع الانتلجنسيا السودانية، فلم تكن الانتلجنسيا أبداً هدامة وثائرة) (محمد عمر بشير ص161). وتمثل هذه المرحلة مرحلة "الثلاثينيات" هجرة المثقف من حقوله الأساسية، إلي السياسة بحسبانها أقصر الطرق لتحقيق الأهداف، فالثقافة كما هو معلوم تتحرك من الإنساني "الكوني" الي الخاص "اليومي" والتغيير، للأجمل، للأحسن والأفضل "قد يحقق مراده بعد عدة أجيال، لكن يظل تغييراً منتخباً وفاعلاً يؤسس نفسه على قواعد منطقية وراسخة من القيم الجمالية والأخلاقية، فبعدما رفد الحركة الثقافية والدرامية، بكفاءات ورموز اجتماعية فاعلة، ترك هؤلاء أمر الأدب والثقافة والمسرح والتحقوا بالأحزاب وأندية الخريجين لتدخل الحركة الوطنية مرحلة أخرى، بإزدهار– الشعر وأدب الخطابة، والتكتلات السياسية خاصة بعد تشجيع الإدارة البريطانية حسب خطة أستيوارت على استمالة السيد عبد الرحمن المهدي ودعمه اقتصادياً والذى لعب دوراً في تشجيع الأدب والثقافة، حتى أن مجلة الفجر وهي المجلة الثقافية والأدبية الوحيدة حينها ذهبت للقول (أن للسيد عبد الرحمن المهدي قدرات هائلة على إدارة البلاد سياسياً وثقافياً) يحي الفضلي ص265ومن ثم بدأت الجمعيات الأدبية والثقافية في الإنشاء وزاد الوعي القومي، رغم تحريم السلطات لكلمة سوداني واستخدام اسم القبيلة التي ينتمي إليها الشخص بدلاً عنها*. وبعد تضييق الخناق على النشاط السياسي المباشر، لجأ المتعلمون إلي تلك الجمعيات وشهد العام 1927 قيام أول جمعية (إن هذه الجمعية رئيسها الحاكم العام وأنا نائب الرئيس وإنها جمعية أدبية فحسب) يحي الفضلي ص202 وكان لعودة إسماعيل الأزهري. أول رئيس عقب الاستقلال. والذي يمثل واحداً من الرموز الوطنية التي تجد الرضا والتقدير من شرائح واسعة من المجتمع ويكاد يجمع الناس على وطنيته وسعيه للاستقلال. كان بعودته من بعثته في الجامعة الأمريكية ببيروت أثره الكبير في إنعاش تلك الجمعيات والخروج بها إلي آفاق أوسع. فقد تولي الجمعية الأدبية في كلية غردون رغم تخصصه في الرياضيات وله اهتمام بالموسيقي. أن الأزهري قد يكن تأثر بدراسته ببيروت، خاصة وإن لبنان والشام عموماً تمثل المركز العربي الذي بدأت منه الفنون المرئية الحديثة وعلى رأسها المسرح كما إنها كانت مركزاً مهماً للطباعة والنشر. والدارس لكتابات محمد أحمد المحجوب رئيس الوزراء بعد الاستقلال، وحواراته الجادة فيما عرف في أدبيات التاريخ الثقافي في السودان بصراع القديم والجديد، وكذلك مقالات عرفات محمد عبد الله وكتاب مجلتي الفجر والنهضة ومذكرات خضر

حمد وديوان التجاني يوسف بشير وتجديد الشاعر والناقد حمزة الملك طمبل، وغيرهم من كتاب ومثقفي تلك الفترة في التاريخ الاجتماعي والثقافي السوداني، إن فشل ثورة 1924 برأي هؤلاء المثقفين يرجع في الأساس لضعف الوعي لدي المواطن السوداني. وبالتالي لابد من الإلتفات للتعليم والحراك الثقافي والأدبي. وضعف الوعي يفسره هؤلاء الكتاب في انعدام الوعي الثقافي والمعرفة العميقة بمكونات الثقافة السودانية وهذا الرأي لو أستقر لكان للسودان شأن آخر لكننا دائماً نستعجل النتائج. وفي كتابات هؤلاء ومرجعياتهم ترجع في الأساس للتجربة والمران والقراءة الواسعة لمحترفي النقد الأدبي في مصر. كالعقاد في البلاغ الأسبوعي وإسماعيل مظهر في المصور وأحمد حسن الزيات في الرسالة، والعقاد كما وصفه المحجوب بأنه كان مرشدهم في بيداء تلك الحياة الشائكة، وتمثل زيارته للسودان التي ذكرها حسن نجيلة في كتابه ملامح من المجتمع السوداني. مدي تأثر أهل الشأن الثقافي في السودان به. كما تابع مثقفوا أهل السودان الجدل الفلسفي بين طه حسين وهيكل– كما إزداد بيع الصحف والمجلات المصرية في العاصمة المثلثة، وتداول الناس كتابات أحمد أمين فجر وضحي الإسلام وكتب التراث العربي عامة ورواية الشعر. كما صاحب ذلك إطلاع واسع على الثقافة العربية والإنجليزية، مباشرة أو عبر التراجم وكذلك ظهور نزعات مثالية ولعل القارئ لشعر التجاني يلحظ الإكثار من التحدث عن الحق والخير والجمال، لدرجة تصادمه مع المؤسسة الدينية. واشتهرت في تلك المدة جمعيتان أثرتا في الثقافة كثيراً وهما جمعيتا الهاشماب وأبو روف ونفرد لهم حيزا في هذه الدراسة لتأثيرهما الكبير في الحراك الثقافي عامة.

جمعية الهاشماب. اتخذت أسمها من حي الهاشماب بأم درمان، وتتميز هذه الجمعية أن من بين مؤسسيها من اشتهرت أسماؤهم في تاريخ الحركة الثقافية في السودان ومنهم من أسس مجلة الفجر. ونلاحظ أن هؤلاء المؤسسين يمثلون بواكير التمرد على السائد خاصة المؤسسة الدينية التقلدية والعشائر، وساهموا كذلك في الانفتاح الكبير على الثقافة العالمية متجاوزين التأثر المباشر بالثقافة المصرية ويمكن القول بأنه البداية الفعلية كذلك للتيار العريض الذي ظهر مطالع السبعينيات من القرن العشرين. ومن بين هؤلاء المؤسسين (الأخوان عبد الله ومحمد عشري الصديق ومحمد أحمد محجوب، ومعاوية نور ويوسف التني وعبد الحليم محمد ويوسف المأمون وعرفات محمد عبد الله وأحمد يوسف هاشم والسيد الفيل وآخرون) (قاسم علي نور 2004م ص35). تأثرت جماعة الهاشماب بكتابات المصري سلامة موسى والذي خاض بدورة صراعاً مشهوداً مع المؤسسة التقليدية واشتهر بدفاعه عن المرأة وحقها في المساواة والعمل مما أدخله في إشكالات عديدة خاصة مع الأزهر. ولهم قراءات كذلك لآداب أوربا وأفكار الفلاسفة والتيارات الجديدة والمدارس الفكرية المعاصرة في العالم الغربي وقد أثارت علاقاتهم مع إدوارد عطية الموظف بقلم الاستخبارات الكثير من انتقاد خصومهم ومنافسيهم لدرجة اتهامهم بالعمالة، ولاسيما أن الجمعية نادت بالقضاء على السلطات القبلية ومحاربة الحزبية والطائفية ومقاومة الإدارة الأهلية وتقليص سلطات زعماء القبائل والعشائر والعمد والمشايخ. وأن هنالك ملاحظة مهمة، مفادها أن أفكار وتوجهات حكومة مايومايو في نهاية حقبة الستينيات من القرن الماضي والتي حكمت السودان اثر انقلاب عسكري قادة العقيد حينها جعفر محمد نميري ،تتفق لحد ما مع أفكار

هؤلاء، بل وطبقتها واقعاً في مشروعها السياسي من حل الأحزاب والإدارة الأهلية وغيرها، والملاحظة الأخرى أن معظم قادة الجمعية اشتهروا وعلى غير عادة رموز التغيير في السودان. بتوثيق تجاربهم وإنتاجهم الفكري والإبداعي، وتحتفظ المكتبة السودانية بمؤلفات لمعظمهم. وهي مؤلفات تمثل مرجعاً مهماً في رصد وتوثيق التحولات السياسية والفكرية التي شاهدها السودان

جمعية أبو روف. تضم كذلك أبناء حي أبو روف وهم من تخرجوا من كلية غردون ونشأت (لأغراض أدبية واجتماعية وسياسية) (خضر حمد المذكرات ص 29). وقد جري العرف في أن يتنادى الأعضاء في الأسبوع مرتين في منزل أحد الأصدقاء لتدارس كتاب عربي أو إنجليزي ومن ثم يدور الحوار والتناقش حوله (وقد أطلق البعض عليهم لفظ الفابيين لنزعتهم الاشتراكية والأدبية وكانوا مشتركين كأعضاء في نادي Left back clip بلندن فكان يزودهم شهرياً بالمجلات والكتب التي يصدرها. فقرأوا عن النقابات والإتحادات والحريات العامة ولقد كانوا أول من قرأ عن الشيوعية قراءة صحيحة واتصلوا بالمكتبات الخاصة بها) (قاسم نور ص32) ومما يحمد "للأوبروفيين" مساهمتهم في أثراء الحركة المسرحية وذلك بتسخير المسرح لجمع الأموال لصالح التعليم "معهد القرش الصناعي وأم درمان الأهلية" وعرفوا بعلاقاتهم الوطيدة بمصر رغم نزعتهم الاشتراكية. وبالتالي توثيق علاقاتهم بطائفة الختمية وأستنصر بهم السيد الميرغني في صراعة مع عبد الرحمن المهدي وطائفة الأنصار. وكانوا أعضاء مؤسسين في الحزب الاتحادي أحد أكبر حزبين في التاريخ السياسي السوداني الحديث

المقاهي والأندية. وهنا لأبد من الإشارة لمقاهي أم درمان وأثرها الكبير في تشكيل وعي ومفاهيم المثقف السوداني والذي اثر بدوره في مجمل الحياة الثقافية والسياسية بعدئذ في السودان وكذلك رفدها الحراك الثقافي الفني بنشاط مؤثر وكذلك شهدت هذه الفترة أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي النشاط المكثف لنادي الخريجين *.

(ولا يخفي على أحد أن المقاهي في ثلاثينيات القرن الماضي الأثر الواضح في اكتشاف المبدعين من الفنانين أمثال الفنان إبراهيم عوض وكان لها الأثر الكبير في نشر أغنية الحقيبة، فقد كانت ميكرفونات "الفونغرافات" بتلك المقاهي تصدح بأغاني الحقيبة واسطوانات سرور وكرومة وزنقار وعائشة الفلاتية) (انعام عامر 2005م ص40).وتمثل أغنية الحقيبة في هذه الفترة مرجعاً مهماً ومرآة للمجتمع وتحولاته وحراكة الاجتماعي. وكان لدور السينما الأثر الأبرز في التأثير بثقافات ومظاهر اجتماعية وافدة فكانت تعرض الأفلام الروائية المصرية وأفلام الكابوي الأمريكية (السينما أضافت بصورة عامة لذوق السودانيين وخاصة طريقة هندامهم فظهرت ربطات العنق الأنيقة والجاكيتات وعرف نجوم المجتمع من الفنانين وغيرهم بيوت الأزياء العالمية) (انعام عامر ص40). ورموز المجتمع من الفنانين خاصة تأثر بهم الشباب في طريقة اللبس وتسريحة الشعر وغير ذلك. ومثل مقهى جورج مشرقي ملتقي هاماً للأدباء والفنانين. وشهدت الفترة بروز نجم فريقي الهلال والمريخ وكذلك نادي الموردة. وتأثرت هذه الفترة كذلك بحركات التغيير العالمية– مجال حقوق المرأ ة والحريات العامة. وشهدت كذلك فتور أفكار التغيير بالقوة ولجأ أبكار الحركة الوطنية للشعر والمسرح والتعليم بدلاً من النشاط

العسكري المباشر. وكان للأثر الكبير للحرب العالمية الثانية في مجمل التحولات الفكرية والسياسية في العالم مدخلا لتحولات فارقة في السودان وكذلك نضوج أفكار الأحزاب وتحديد الخيارات ودخول منافسين جدد ومؤثرين ممثلين في الفكر اليساري عموماً والحزب الشيوعي خاصة وكذلك حركات الإسلام السياسي ويمثل الأخوان المسلمون بمختلف مسمياتهم وجهه البارز، وكل هؤلاء تأثر بهم المجتمع في تكتلاته وثقافاته وحروبه وسلمه كذلك وبالتالي استجاب المبدعون وكتاباتهم لشروط وملامح تلك الفترة.وفي أواخر الأربعينيات سقط لستار الحديدي المضروب على جنوب السودان وثم إلغاء قانون المناطق المقفولة وأيضاً كان لقيام ثورة يوليو 1952 بمصر أثر على الأوضاع بالسودان.ويعد استقلال السودان والذي تم وكأنه انتقال سلمي للسلطة. دخل للسودان في أولي مراحل الحزبية أو ما عرف بالديمقراطية الأولي.وشهدت أيضاً الفترة تجاذباً حاداً في الأفكار والأيدلوجيات (كان كثير من ابناء السودان يعادي السياسة الأمريكية ونظرية إيزنهاور وينعطف نحو التيارات العربية السياسية التي يمثلها جمال عبد الناصر وميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحواراني، واقترن التيار السوداني بالفكر العربي الحديث) (محجوب عمر باشري 2000م ص147)والفكر العربي عموماً في هذه الفترة أصبح أثير لتيارات رئيسية تمثلت (في التيار الليبرالي ذو النزوع القومي والتيار الإسلامي والتيار الماركسي والتيار القومي العربي) (محمد أحمد الزغبي 2007 م ص61).ولم تدم المدة الديمقراطية عقب الاستقلال سوي عامين ليستقبل السودان ما عرف في تاريخه السياسي دوامة الأحزاب والعسكر. فالشد السياسي والتجاذب الحزبي أدت إلي تسليم السلطة للعسكر بقيادة الفريق عبود، ليتم تأميم الصحف ،ورغم عسكريتها والتي يسميها البعض بالديكتاتورية إلا أن مرحلة عبود شهدت تنمية وتأسيس لبني تحتية (من قيام لخزان خشم القربة والمرحلة الأولي من خزان الروصيرص وأسمنت ربك وعطبرة ومصانع السكر وتعليب الفاكهة وتمددت طرق الإسفلت وخطوط السكة حديد وإرسال الطلاب للدراسة بالخارج وزاد عدد المدارس بشكل ملحوظ) (عمر باشري ص154).وتمت إزاحة عبود بانتفاضة مدنية عرفت بثورة أكتوبر (21 أكتوبر 1964) لتشهد مشاركة فاعلة من المثقفين والمفكرين والشعراء والتغني للشعب وبطولاته وملاحمه فكان محمد وردي ومحمد الأمين. وظهر جيل المغنين لكبار الذين ما زال تأثيرهم واضحاً في خارطة الغناء السوداني وتزامن معهم جيل الشعراء جيلي عبد الرحمن والحسين الحسن وتاج السر الحسن ومحمد مفتاح الفيتوري وصلاح أحمد إبراهيم و محمد المكى إبراهيم ومحجوب شريف وهاشم صديق وغيرهم.وظهرت المدارس الفنية في الشعر والمسرح والتشكيل المتأثرة عربياً بعصر ما بعد نكسة 1967م، من رمزية خاصة في الشعر والدراما، على يد يوسف عيدابي ويوسف خليل وغيرهم. وظهرت كذلك واحدة من أهم التيارات المتمثلة في تيار الغابة والصحراء والتي تشكل مع آخرين تتويجاً لسؤال الهوية الملح خاصة بعد تطورات في الجنوب وانانيا، وتمردها وكتابات أدم خاطر وإبراهيم اسحق وفضيلي جماع وعالم عباس وغيرهم من مثقفي ومفكري غرب السودان ، والذين تمثل كتاباتهم ولحد كبير وقودا لأسئلة وصراع الهوية والمركز والهامش القديم المتجدد وتتعقد مشاريع الحوار الثقافي بعد أن تلفحت بعباءة النظرة السياسية الضيقة ، فالمركز أصبح يمثل وفي خطأ استراتيجي فادح هيمنة الشمال وثقافته والهامش يمثل البعد الاثني في أقاصي الغرب والنيل الأزرق وجبال النوبة وذلك

التعقيد ومن وجهة نظر الدارس سيعاني منه الجميع ولأزمان قد تطول .وتمظهر الأيدلوجية المتأثرة بالمحيط الإقليمي والعالمي مثل جبهة الميثاق الإسلامي والتي تمثل امتداداً لحركة الإخوان المسلمين المتأثرة بالحركة الأم في مصر وأفكار حسن البنا وسيد قطب وأيضاً تمدد الحزب الشيوعي وسط الطلاب والعمال وبالتالي إضراباتهم المتكررة. ولعل التجاذب الآيدلوجي الحاد وتفجر أسئلة الهوية وصراعات المركز والهامش السابق ذكرها ، ولدت تيارات مهمة أثرت كثيرا في بنية المثقف السوداني ومآلات تفكيره ومشاريعه من شعر وتشكيل ودراما وغناء ويمثل تيار الغابة والصحراء والذي ظهر في العام 1963 واحدا من أهمها ، فمحمد المكي إبراهيم أحد رواد ومؤسس التيار يذكر (أنه ألتقي محمد عبد الحي ويوسف عيدابي واتفقا على تأسيس اتجاه في الشعر. بعدها دخلت الجامعة في إضراب وطلب مني محمد عبد الحي الاستقرار معه في منزل جدته بالخرطوم، مكثنا شهر وكان هذا الشهر هو الميلاد الحقيقي لتيار الغابة والصحراء. وحدث تجاوباً كبيراً من محمد عبد الحي إذ استطاع أن يري بعين الشاعر عذابات الهوية) محمد المكي ابراهيم 2008 ص76ولعل عبارة "عذابات الهوية" ومحمولاتها الشعرية وتماسها مع الخط السياسي، قد تكون سنداً للرأي القائل بتأثر وتأثير المبدعين– خاصة الشعراء– بالقضية السياسية وإلباسها أبعاداً أيدلوجية تستجيب ووعيهم المكتسب عبر القراءة والإطلاع، والمتأثر ايضاً بالمحيط الإقليمي والعالمي. وقد يكون هذا المنحي أكسب الأحزاب العقائدية. رغم محدودية منتسبيها. تأثيرها الفاعل في مجري الأحداث والتغييرات السياسية والفكرية. وفي ذات الوقت انعزالها عن بعدها الشعبي. فحدثت هوة كبيرة ما بين آمال وأفكار وطموحات "الإنتلجنسيا" وما بين الحياة اليومية ومتطلبات العيش الملحة. وقد يكون هذا الرأي – والقابل للحوار بالطبع واحد من معضلات أساسية وجوهرية يعاني منها السودان حتى اليوم.. وأعني به الفصام االمتجذر ما بين التفكير والتخطيط والبرامج– وما بين التنفيذ والواقع.ومن ناحية أخري بدأت الخارطة السكانية تتغير بتمدد المدن وظهور مدن جديدة وامتدادات حديثة في الخرطوم وتعددت الصحف واتسعت التغطية الإذاعية وبداية البث التلفزيوني قبيل ثورة أكتوبر. وتعاظم الاتصال بالعالم الخارجي وإزداد عدد الطلاب في مصر وغيرها وشهدت تلك الفترة، الدور الكبير لدور السينما واستقرت على صفحات الصحف عبارة أين تسهر هذا المساء، وتبع ذلك أنماط سلوكية وحياتية مغايرة للسائد، وعلى مستوي المسرح، إنتظمت المواسم المسرحية على يد الفكي عبد الرحمن بالمسرح القومي.أن هذه الفترة قد مهدت للتحولات الكبرى في فترة السبعينيات والتي شكلت السودان بملامحه الراهنة.

فترة السبعينيات.

يعتبر انقلاب مايو 1969م أهم بدايات تلك الفترة. وشهدت بداياتها تحولات دامية بعد محاولة هاشم العطا الانقلابية والتي أتهم فيها الحزب الشيوعي وراح ضحية ذلك عدد من قيادات الحزب ومفكريه. النميري وبعد تصفية قيادات الحزب الشيوعي واليسار والتي قام قبلها بتصفية اليمين كذلك بضرب الجزيرة أبا 1970. ومن ثم اتفاقية أديس أبابا في 3مارس 1972مع المتمردين بجنوب السودان، وبعدها حكم النميري بصورة منفردة وحسم الصراع على السلطة باستثناء حركات متفرقة أهمها ما عرف بانقلاب حسن حسين وحركة شعبان والتي أشعل فتيلها الطلاب الإسلاميون بجامعة الخرطوم وحلفائهم. ويري البوني كذلك أن النميري وأركان حكمة لم

يعرف عنهم الانتماء الأيدلوجي علي الاقل بعد منتصف السبعينيات من القرن الماضي واستقرار نظام مايو أمنيا علي الأقل ساعد ذلك المناخ على نمو وتشكل الحوار الثقافي والاجتماعي. والملاحظ ن هذه الفترة شهدت وضعاً أشبه بما حدث عقب قمع ثورة 1924 إذ انصرف المثقفون عموماً إلي القراء ة والأدب وتنمية الوعي لدي المواطن.

فالقارئ لصحيفتي الأيام والصحافة مطلع السبعينيات يلحظ النشاط الكثيف للملاحق والحوارات الثقافية*. فظهرت أسماء علي المك وخلف الله حسن فضل ويس عمر الامام وكمال الجزولي وعيسي الحلو وكتابات مصطفى سند وأشعاره وكذلك أسماء استمرت في الكتابة والحوار حول الأدب والثقافة والدراما والشعر. عبد الله علي إبراهيم ومحمد المكى إبراهيم. وخالد المبارك ويوسف خليل وغيرهم.ويعضد هذا المنحي الراحل محمد إبراهيم نقد. (محمد ابراهيم نقد 2007م)سكرتير الحزب الشيوعي بتأكيده بأن حزبهم انصرف عن الانقلاب نهائياً عقب انقلاب هاشم العطا. ولعل أن هذا القرار أفاد الحراك الثقافي والاجتماعي كثيرا فانصراف مفكري ومتفقى الحزب عن الشأن السياسي المباشر جعلهم يلجأون للشأن الثقافي والاجتماعي فتعمق الحوار وبرزت أسئلة الهوية وشهدت صفحات الصحف سجالاً ما بين اليسار عموماً واليمين ممثلاً لحد ما في كتابات الإسلاميين وظهر جيل من التيار الوسط المتبني للثقافة في مفاهيمها السودانية ويمثل الراحل أحمد الطيب زين العابدين وعموده الصحفي الشهير " منظور سودانوي " دليلا علي ذلك .واوالمتابع لأشعار تلك الفترة يلحظ مدي التحولات والأفكار خاصة في مجال الشعر الغنائي عند الدوش والتجاني سعيد وهاشم صديق وغيرهم وتغير المفهوم السائد عن نظرة غناء الحقيبة عن المرأة والتغني بماديات ومحسوسات الجسد الي غناء محمل بالرموز والدلالات وأصبحت المرأة في كثير من الأشعار تعني الوطن والفكرة– والملاحظة الأخرى للتحولات في مطلع السبعينيات بروز ما عرف بتيار الاغتراب إذ أصبحت منطقة الخليج منطقة جذب بعد اكتمال تدفق البترول وأصبح السعي للاغتراب منحي ظاهراً .أما من تيار المعارضة خاصاً الإسلاميين وأما للسعي لكسب المادي المباشر. وتزامن مع الاغتراب تزايد النمط الاستهلاكي والثراء المفاجئ مما كان له الأثر الكبير في عدة مجالات، والمتتبع لأغاني البنات يلحظ ذلك جيداً (وبتأثر الاغتراب والبعثات المتتالية لضباط الجيش ظهرت ما عرف بمدن الدرجة الأولي. وخير مثال لها مدينة النيل والرياض والمنشية) (محمد عبد الحي 2005م) فتكونت على أثر ذلك طبقة تكاد تكون جديدة لها ثقافتها وعاداتها المدنية وكذلك طريقة لبسها وغير ذلك. وشهد النصف الثاني من السبعينيات تحولات مهمة أبرزها في ما عرف بالمصالحة الوطنية بين حكومة مايو وأحزاب الجبهة الوطنية وابرز رموزها الصادق المهدي وحسن الترابي. بعدها احتدم الصراع الفكري بين رموز وكتاب الإسلاميين وزعيمهم حسن الترابي وتجاربهم فيما عرف بأسلمة الاقتصاد وتجربة بنك فيصل الإسلامي. وبنايته المميزة آنئذٍ "الفيحاء" وبين رموز مايو واليسار عموماً. خاصة بعد ميل النميري للتوجه الإسلامي وقوانين مهدي مصطفي الهادي محافظ الخرطوم حينها بمدنها الثلاث في تحريم التوتو كورة وتحريم الخمر والميسر ومنازل الدعارة والتي حفظتها الذاكرة الشعبية السودانية تحت مسمي " البيوت"وغير ذلك. والتي توجت بعد ذلك بما عرف بقوانين الشريعة أو قوانين سبتمبر على حسب توجه ورأي قائلها.

ويري أ د. البوني. (بروفسير البوني 2007م).أن هناك إشارات مهمة أثرت التحولات في السبعينيات تمثلت في الحوار الديني المتعمق والفقهي على مستوي حركة الجمهوريين *. بقيادة محمود محمد طه وتأثر كثير من المفكرين والمثقفين بها. وعلى مستوي الحوار الفكري والنقاش ما بين منصور خالد وعبد الجبار المبارك والحوار الصوفي– السلفي– العلماني وهذه التيارات لم يعرف لها مسعي مباشر للسلطة وترك لها نظام مايو الفرصة لكي تنمو وتتطور.أن السلم التعليمي بقيادة محي الدين صابر والذي بموجبه ارتفع الفاقد التربوي من رابعة إلي الصف السادس احدث تحولات مهمة علي جانب العملية التعليمية وظهور العامل الحرفي من عمال ميكانيكا وعمال البناء وغيرهم من الذين ارتفع مستوي التعليم عندهم وزيادة فاعلية نقابات العمال وخير مثال عمال نقابة السكة حديد بعطبرة والذين لعبوا دورا معروفا في الإضرابات المتعددة التي واجهت حكم الرئيس نميري.

وختاما ير ي الدارس أن تلك المرتكزات الفكرية والاجتماعية توجت بفترة السبعينيان في حراكها الثقافي الكثيف والمتعمق والتي مثلت فترة النضج للسودان الحديث تقافيا علي الاقل ،أكتملت فيه التجارب وكذلك الاسئلة بكل نجاحاتها وانكساراتها ،ولعل ظهور جيل من كتاب الدراما وانتظام المواسم المسرحية وارتباطا التأليف المسرحي والدرامي عموما بالشعر – مثل تجارب الدوش وهاشم صديق وسعد الدين ابراهيم وعز الدين هلالي والطيب المهدي وعثمان جمال الدين وعثمان البدوي ومن ثم قاسم ابوزيد وجمال حسن سعيد وغيرهم صبغ ذلك المنتوج بصبغة التحولات المتوالية والعنيفة احيانا التي شهدها السودان الحديث ، واللافت للدراسة والتحليل أن كتابا ومفكرين بذاك التأثر ووبتلك المؤهلات لم يكتب لهم الدور المباشر في صناعة الاحداث اليومية ومآلاتها والتي اضحت نهبا للتجريب ولأفكار لم تلتفت للمكون الثقافي للمجتمع السوداني ،لتبدأ رحلة النظر في الحلول متأثرة بالطبع بالمحيط الاقليمي والعالمي وأكبر التحديات من وجهة نظرنا أن المعضلة التاريخية في تماس الثقافي مع محيطه السياسي لم يتم التحاور حولها بشكل جذري وحاسم لتصبح كثيرا من القضايا الملحة نهبا للمعالجات الضيقة والانية والعجولة فالمجتمع بالطبع ومن طبيعة اقداره الكونية لا يستجيب للتغيرات القهرية ولا الغريبة علي مكوناته ومرتكزاته، والا نفق لا يعلم الا الله مآلاته.

قائمة بأهم المصادرو المراجع

القرآن الكريم

1.إنعام عامر، سوق أم درمان يحكي قصة مدينة وعراقة شعب أغسطس2005

2. ارثر ابرا برجر النقد الثقافي .تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية .ترجمة وفاء ابراهيم ورمضان بسطاويسي المجلس الاعلي للثقافة مصر2003م

3. يوسف فضل حسن، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، ط4 1992

4. يحي الفضلى .الفجر المجلد الثالث ، العدد التاسع

5. يحي الفضلى، مقابلات الجزء الثالث،

6 . يمني العيد:الراوي الموقع والشكل مؤسسة االأبحاث العربية ، لبنان مالك بن نبي شروط النهضة، ترجمة كمال مقساوي وآخرين. بيروت. دار الفكر 1979،

7. محجوب عمر باشري، معالم تاريخ السودان، الدار السودانية للكتب 2000،

8 . مهدي عامل. مقدمات نظرية دار الفارابي بيروت 1973م

9. محمد إبراهيم نقد، في حوارات مع ضياء الدين بلال ، صحيفة الرأي العام مايو 2007.

10. محمد أحمد الزعبي. مدخل منهجي لدراسة الفكر الاجتماعي الحديث مقال مجلة المستقبل العربي العدد 346

11. محمد أحمد المحجوب، موت الدنيا، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية، 2005، طبعة خاصة

12. محمد المكي إبراهيم، في ذكري الغابة والصحراء، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي أم درمان، 2008،

13. لواء محمد عبد الحي الرئيس السابق لبيت الثقافة ومدير الأطراف الصناعية وكذلك الحاكم الأسبق للإقليم الأوسط. حوار أجراه معه الدارس في 2005/7/23.

14. بروفيسور محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900– 1969، دار الجيل بيروت ط2 1987

15. بروفيسور عبد اللطيف عبد البوني، حوار مكتوب بمكاتب صحيفة الرأي العام الخرطوم في 2007./5/22

16. عبد الله إبراهيم الطاهر. بيليوغرافيا الصحافة السودانية في قرن، ط2 المجلس القومي للصحف الخرطوم 2000م

17. عبد الرحمن عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، الجزائر، دار الأمة 1995

18. د. قاسم عثمان نور، أضواء على الحركة الوطنية السودانية، وزارة الثقافة الخرطوم 2004

19. د. صلاح الدين على الشامي. السودان دراسة جغرافية. والمعارف الإسكندرية . ط2 2000م

خضر حمد، .المذكرات .